النشاط الاقتصادي للدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي الثالث

د. عباس فاضل رحيم القدسي
كلية بغداد للعلوم الاقتصادية الجامعة
د. محمد كريم الجميلي
كلية التربية- الطارمية/ الجامعة العراقية

المقدمة...

شهد العصر العباسي الأول، الذي بدأ بتولي العباسين الأمر سنة اثنين وثلاثين ومائة حيث هيأ فيه العباسيون أسباب الثراء والسيادة وفيه كانت نشأة الكثير من العلوم الإسلامية ونقل فيه شيء ليس بالقليل من العلوم الأخرى غير العربية، وفيه حفلت دور الخلفاء بالأدباء والعلماء والشعراء[١].

وشهد القرن الرابع الهجري ازدهاراً علمياً وأدبيا واقتصادياً واسعاً رغم مظاهر الوهن والقلاقل والأهواء فقد كانت الدولة في داخلها مقسمة إلى دويلات عديدة، والصراع محتدم بين الطامعين في الحكم[٢].

فظهر العلماء الذين أغنوا الفكر العربي والإسلامي بعلوم وابتكارات رائعة كان لها الأثر الكبير والواسع في تعميق الفكر وخدمة واسعة للثقافة والمعرفة، لذلك تطورت الحضارة وازدهرت الثقافة في المجتمع العربي الإسلامي وأخذ طابعه المميز ومقوماته الراسخة [٣].

وقد تميزت الخلافة الإسلامية في ذلك العصر باهتمامها بالجانب الاقتصادي لما له من أهمية كبيرة في المجتمع، وأول ما نلاحظ نمو المدن وتطور الحياة فيها، واتخاذ المدن الإسلامية صفاتها الرئيسية، وكانت بغداد أفضل مثل في ذلك، فقد اتسعت المدينة، وتمثل فيها امتزاج الناس من مختلف الألوان والأصول، وازداد نشاط الحرف والمهن، واتسعت أسواقها ومحلاتها، إضافة الى اختصاص كل حرفة بسوقها، وظهرت لديهم تنظيمات تعبر عن تماسكهم وتعاونهم.

ونتيجة لازدهار المدن وتطورها في الدولة العربية الإسلامية فقد أدى ذلك الى قيام حواضر كثيرة مثل بغداد ودمشق والكوفة والبصرة ونيسابور وبخارى، بسبب تنوع الحياة الاقتصادية وتشعّبها في هذا العصر والذي انعكس على تطور الحياة على المجتمع الإسلامي، ولذلك فسوف نعرض أوجه النشاط الاقتصادي للدولة العباسية في ذلك العصر على ثلاثة مباحث.

المبحث الأول جاء تحت عنوان النشاط الزراعي، وتناولنا فيه معالم ذلك النشاط من خلال إبراز أهم معطيات نجاحه من كثرة الأنهر وخصوبة التربة واهتمام الدولة بالزراعة وسهولة التنقل بين أقاليم الدولة المترامية الأطراف.

أما المبحث الثاني فقد كان بعنوان النشاط الصناعي، وبينّا فيه كثرة وتنوع الصناعات في أرجاء الدولة الاسلامية، ومدى تقدمها وجودتها، وكثرة الأسواق التي تروج لتلك الصناعات.

أما المبحث الثالث فكان تحت عنوان: النشاط التجاري، وتطرقنا فيه الى أوجه النشاط التجاري الكثيرة والمتعددة، ودور الصرف المختلفة والمنتشرة في أنحاء الدولة وتيسير حياة التجار في طريقة معاملاتهم بشتى الوسائل المالية والمصرفية.

وختم البحث بذكر خاتمة، ثم الاستنتاجات التي تمخض عنها البحث، ثم ذكر قائمة لأهم المصادر والمراجع التي تم الاعتماد عليها في هذا البحث.

المبحث الأول
النشاط الزراعي وأثره في التنمية الاقتصادية

أولت الدولة العربية الإسلامية عنايتها بالزراعة لما تميزت به بكثرة المحاصيل الزراعية المتنوعة لسعة مساحتها وتنوع مناخها وخصوبة تربتها، والأهم من كل ذلك كثرة الأنهر المنتشرة على مساحات واسعة من الدولة في مختلف الأقاليم.

وكانت هناك جملة عوامل قد جعلت من الدولة العربية الإسلامية مركزاً مهما للزراعة ومنها زيادة الاهتمام زمن العباسيين بامتلاك الأرض باعتبارها نوعا مستقراً من الملكية ومصدر دخل ثابت، فبرزت ظاهرة الملكيات الكبيرة من اقطاعات وضياع نتيجة توفر المال والنفوذ[٤]، وكذلك كان قد زاد انتشار العرب في ريف السواد منذ أواخر القرن الأول ويتضح هذا من الإشارة الى قرى تملكها قبائل أو مجموعات من عشائر قرب الكوفة وفي سواد واسط[٥].

وفي الجزيرة الفراتية استقرت المجموعات القبلية على نطاق واسع في القرى، وكانت هناك مجموعة كبيرة من القرى العربية في القرن الثالث الهجري والكثير من هؤلاء العرب أخذ يعمل في الزراعة بعد إسقاطهم من الديوان[٦].

وكذلك الحال في بلاد الشام كانت الحركة نحو الانتشار بالريف والسكن في القرى أكثر اتساعاً، ولا سيما بعد سقوط الدولة الأموية، ويذكر ابن عساكر مجموعة واسعة من

القرى العربية في منطقتي دمشق وحمص، وكذلك الحال في الأردن وفلسطين واشتغالهم بالزراعة كملاكين وفلاحين(٧).

لقد كان اختيار بغداد عاصمة للدولة العباسية من قبل المنصور أثره المهم في ذلك، وأهمها العامل الاقتصادي الذي يعتبر الحجر الأساس الذي تقوم عليه الدولة. فقد ذكر المؤرخون أنّه استشار أهل الرأي من حاشيته وبعض أهالي بغداد عن طبيعتها الجغرافية كطبيعة شتائها وصيفها والأمطار والهواء، فقالوا له: }...فأنت بين أنهار لا يصل اليك العدو الاّ على سفينة أو على قنطرة على دجلة والفراتﮋ(٨).

وكانت أنهر بغداد القديمة تشكل عصب الحياة للعاصمة الجديدة، وقامت على جانبيها المحلات والأحياء الكثيرة، وكان أهمها نهر عيسى الذي يتفرع من الجانب الأيسر لنهر الفرات، ويقطع أرض الجزيرة الواقعة بين دجلة والفرات فيسقي مع فروعه الكثيرة المزارع والحقول والبساتين المنتشرة على جانبيه(٩).

وكذلك الحال في باقي أقاليم الدولة التي تكثر فيها الأنهار، ومنها خراسان فقد كانت مشهورة في غذاء الهواء وطيب الماء وصحة التربة وعذوبة الثمرة وأحكام الصنعة. وكذلك بلخ فقد كانت مشهورة برخص الأسعار وكثرة الخضر واختراق الأنهار المحفوفة بالشجر في المحال والمنازل وقرب الجبال والأودية(١٠).

أما هراة وسجستان فقد وصفها المقدسي قائلاً: }هراة قصبة جليلة هي بستان هذا الجانب، معدن الأعناب الجيدة والفواكه النفيسة، آهلة عامرة، وفيها بساتين مشتبكة ومياه جارية وقرى عامرة، أما سجستان ففيها عدة أنهار تسقي المدن والضياع منها نهر هيرميدﮋ(١١).

وتأتي بلاد الشام في طليعة البلاد التي اهتمت الدولة العباسية فيها وذلك لوفرة خيراتها، وقربها من مركز الخلافة، فكانت فيها من الأنهار والبحيرات الكثيرة الممتدة على أرجاء واسعة في كل الدول التي تنتمي اليها سواء سوريا أو الأردن أو لبنان وفلسطين، كنهر الأردن والعاصي والفرات واليرموك والليطاني وبحيرة طبرية وغيرها، والتي تسقي مساحات واسعة من أراضي دولة الخلافة العباسية، وطبرية هي الأشهر، وقد وصفها الرحالة ابن جبير قائلاً: }بأنّها بحيرة مشهورة، وأنّ ماءها عذبﮋ(١٢)، ثم يتحدث عن مساحتها ويبين

تضارب الأقوال فيها فهو يشير الى مبلغ طولها بأنه ستة فراسخ ومبلغ عرضها ثلاثة فراسخ أو أربعة، ويعلق بالقول: }بأنّ هذه أقربها الى الصحة لأننا لم نعاينهاً[١٣].

أما ياقوت الحموي فيقول بأنه رأى طبرية مراراً، }وهي كالبركة يحيط بها الجبل، ويصب فيها فضلات أنهار كثيرة تجيء من جهة بانياس والساحل والأردن وينفصل عنها نهر عظيم هو نهر الأردن، ومدينة طبرية في لحف الجبل مشرفة على البحر وماءها عذب شروبً[١٤].

ويتابع ياقوت بأنّ الأردن أردنان، الأردن الكبير والأردن الصغير، فأما الكبير فهو نهر يصب الى بحيرة طبرية، وتجتمع فيه المياه من جبال وعيون فتجري في هذا النهر فتسقي أكثر ضياع جند الأردن مما يلي ساحل الشام وطريق صور، ثم تنصب تلك المياه الى البحيرة التي عند طبرية، وأما الأردن الصغير فهو نهر يأخذ من بحيرة طبرية ويمر عند الجنوب في وسط الغور فيسقي ضياعها وقراها الكثيرة ومنها بيسان، ويجتمع هذا النهر ونهر اليرموك فيصيران نهرا واحدا فيسقي ضياع الغور[١٥].

وفضلا عن تلك البحيرات الكبيرة فثمة هناك العديد من العيون والجداول التي يسقي منها أهل بلاد الشام ماءهم العذب مثل عيون عسقلان وعيون أريحا وجنين وبيسان التي اشتهرت بخصبها وعين الماء التي تتفجر من الصخر في الخليل بفلسطين وغيرها[١٦].

لقد أشار الجغرافيون الى المقادير الوافرة التي تتلقاها بلاد الشام من مصدر آخر للمياه وهي مياه الأمطار[١٧]، وكان من الطبيعي أن تتمخض هذه الوفرة في المياه عن نشاط زراعي كثيف بلغ خراجه السنوي في منتصف القرن الثالث الهجري نصف مليون دينار[١٨]، واستمر في هذا المعدل حتى القرن التالي[١٩].

إذن ومن كل تلك الأمثلة نعلم كثرة الأنهار التي تقطع شرق الدولة وغربها، وكثرة البساتين التي قامت على تربتها الخصبة مما ساعد على نمو النشاط الزراعي المختلف. فقد انتشرت زراعة الحبوب كالقمح والرز بالإضافة الى أنواع عديدة من المنتوجات الزراعية والفواكه الأخرى والتي عمل الخلفاء على جلبها الى دار الخلافة من أماكن بعيدة عن العاصمة، وقد كان أكثر ما يباع من الثمار في الأسواق هو البطيخ، فنشأ نتيجة لذلك سوق بيع الفاكهه سمي دار البطيخ[٢٠].

وكانت مرو مشهورة بتلك الفاكهة (البطيخ) وكان يرسل الى الخلفاء ببغداد منذ العصر العباسي الأول والثاني، وبدون أن يصيبه التلف، فكان يحمل الى الخليفة العباسي المأمون وبعده الواثق بالله في قوالب الرصاص معبأة بالثلج، وكان سعر الواحدة منها اذا سلمت ووصلت نحو سبعمائة درهم(٢١).

أما الخليفة العباسي المعتضد بالله فقد رأى ابنه جعفر وكان له من العمر خمس سنوات وهو جالس وفي يديه طبق من عنقود عنب في وقت لا يوجد العنب فيه عادة في الأسواق(٢٢)، ومن المرجح أن يكون هذا العنب وغيره من الفواكه قد جلب من مناطق أخرى ليباع في أسواق بغداد نتيجة لاتساع الدولة وتنوع محاصيلها(٢٣).

وكان يرد من أقاليم الدولة الى بغداد من المنتوجات الزراعية كالفاكهة ما لا حصر له، فمن بلاد فارس كان يرد ماء الورد المستخرج من بساتينها، والمقدر بحوالي ثلاثون ألف قارورة، ومن بساتين أصفهان كان يستخرج العسل ويرسل الى بغداد بحدود ألف رطل، وكذلك الزبيب الأسود بنحو عشرين ألف رطل، والرمان والسفرجل بنحو مائة وخمسين ألفاً، فضلاً عن الكمثرى والتفاح والزعفران والأشنان والشراب اللذيذ المستخرج من أجود أنواع الفواكه(٢٤).

وفي بلاد الشام اشتهرت زراعة الزيتون والفواكه لا سيما التفاح فكان أفضل نوع منه هو تفاح الشام، حتى كان يضرب به المثل في الحسن والطيب والجودة وكان يحمل منه أيضاً الى الخلفاء في كل سنة ثلاثون ألف تفاحة(٢٥)، وكذلك الحبوب والخضروات التي كانت ترسل بالسفن التجارية ثم تسلك نهر عيسى حتى تصل الى بغداد(٢٦).

وكذلك الحال مع باقي المزروعات التي كانت تهتم بها الدولة والتي هي بالأصل أساسية في الحياة كالقطن مثلاً فقد كانت زراعته في المشرق أمراً شائعاً حتى قيل فيه: }قد علم الناس أنّ القطن بخراسان وأنّ الكتان بمصر{(٢٧).

وفضلاً عن ذلك كانت هناك مدن أخرى في الدولة مثل مرو ونيسابور من المراكز المهمة لزراعة وصناعة القطن، وكانت تحمل الى أقطار الأرض وتباع بخراسان ومصر والعراق، وتتخذ منه العمائم لأنه كان على درجة عالية من الجودة واللين(٢٨).

واشتهرت زراعة القطن أيضاً في الموصل، وقد أوضح الثعالبي النشاط الزراعي للمدينة وإنها كانت تتمتع بإنتاج زراعي واسع وان نشاطها الاقتصادي اعتمد بشكل كبير على

زراعة الكتان والقطن، فقد كانت فيها صناعة الثياب متميزة بسبب وفرة المادة الأولية، ونشأ فيها نتيجة لذلك سوق للرفائيين وآخر للبزازين[٢٩].

وكانت تتوفر في الموصل المراعي الواسعة، فأصبحت ذات موارد زراعية مهمة وذلك من خلال تربية أعداد كبيرة جدا من الحيوانات والماشية وهي منطقة سهول ووديان وأمطار غزيرة[٣٠].

كما اشتهرت الموصل بتربية النحل كما يشير بذلك الثعالبي، فكانت الموصل ذات شهرة خاصة في إنتاج العسل، فتشير قوائم الخراج الى أن الموصل كانت ترسل كميات من العسل مع واردات الخراج الى العاصمة وصل وزنها عشرين ألف رطل وعشرين ألف ألف درهم، ولشهرة عسل الموصل وجودته فأنه كان يعدّ ويعتبر من نفائس المنتوجات[٣١].

وكان نتيجة ذلك النشاط الزراعي المتنوع الذي اشتهرت به الموصل وديار ربيعة ومضر وسنجار، فقد اعتمدت عليها الدولة العباسية في تمويل أسواق العاصمة بغداد بالمؤن والمواد الغذائية[٣٢].

ولأجل تطوير الزراعة وديمومتها اتجه العرب لدراسة المناخ وأثره على الزراعة، فكانت دراسة الكواكب والأبراج ومدى تأثيرها على الإنسان والبيئة، فقد كانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد الى الساقط من النجوم وقيل الى الطالع منها، وتنسب الأمطار اليها[٣٣].

لذلك كان اهتمام الدولة العربية الإسلامية بالزراعة واسعا وقدمت لها كلّ الإمكانيات اللازمة لدفع عجلة النشاط الاقتصادي من خلال توصيل المياه للأراضي الزراعية وإنشاء القناطر والأنهر ومساعدة الفلاحين.

ونتيجة لكل ما ذكرناه فقد تطورت الحياة الزراعية وظهر إقطاع زراعي بصورة واسعة، وقد كان لبعض التجار دورهم في ذلك، واتجه الملاكون الى تطوير الزراعة باستعمال الأسمدة وكسح السباخ لاستصلاح الأراضي وظهرت الزراعة المركزة، ولم يكتف الملاكون الكبار بالفلاحين الاعتياديين، بل عملوا على شراء الرقيق بأعداد كبيرة لاستخدامهم في استصلاح الأرض وفلاحتها، ولنا مثل قوي لذلك في البصرة إذ استخدم الآلاف من الزنوج المستوردين من إفريقيا للعمل في الزراعة[٣٤].

المبحث الثاني
النشاط الصناعي ودوره في ترسيخ النشاط الاقتصادي

لقد كان للصناعة النصيب الأوفر من اهتمام الدولة العربية الإسلامية، فقد اهتم الخلفاء وولاة الأقاليم بالصناعات المختلفة التي كانت قائمة حينذاك وعملوا على صيانتها وتنشيطها وتطويرها، كما عملوا في الوقت نفسه على إقامة صناعات جديدة لكي تفي بمتطلبات المجتمع، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لأنها تشكل موردا هاماً من موارد الثروة والرفاه للدولة والمجتمع.

لقد حصلت في العصور العباسية تطورات حضرية واسعة، إذ ازدهرت الحياة الثقافية وتقدمت الحياة الحضرية، واتخذ المجتمع الإسلامي طابعه المميز ومقوماته الراسخة، وتطورت الحياة الاقتصادية والاجتماعية في القرنين الثالث والرابع للهجرة وهو ما أدى الى تكامل التحولات الجديدة ونمو المدن، وتطور الحياة فيها[٣٥].

وقد كان من نواحي الازدهار الاقتصادي ارتقاء الصناعة وتعددها في العراق وسائر أقاليم الدولة، وبقيت الصناعة محدودة الإمكانية بين عمل فردي وصناعة يشترك في عملها عدد محدود من الأفراد في حانوت أو مصنع صغير ويبدو أن الحكومة كانت لها مصانع واسعة نسبياً كدور الطراز التي تصنع البنود والأعلام والملابس الرسمية، وكذلك دور السكّة وضرب النقود. كما كانت هناك مصانع أهلية كبيرة لصناعات مختلفة، وهكذا يتبين أن المجتمع شهد قيام فئات من الأثرياء من تجار وملاك[٣٦].

وقد أنشأت الدولة في المدن الرئيسية عدد كبير من مصانع الزجاج والخزف ونسيج القطن وحياكة الصوف والأواني النحاسية والزجاجية، لأن الزجاج العراقي كان معروفاً بجودته بحيث أنّ شهرته وصلت الأندلس، وقد شاهد ابن جبير في الكعبة قناديل من الزجاج العراقي تزينها نقوش جميلة[٣٧].

واشتهرت بلاد الشام ولا سيما فلسطين بصناعة المعادن المختلفة وذلك لوفرة المادة الأولية فيها، فقد أفاد سكان فلسطين من المادة القيرية التي كان البحر الميت يقذف بها أو تستخرج من سواحله والمسماة بالحمّر، وكذلك الكبريت الذي يدخل في صناعات كثيرة، والذي يستخرج من مقالع أريحا، فضلا عن الفضة التي كانت تصنع في القدس وتصدر الى مختلف البلدان[٣٨].

وفي مدن الدولة الرئيسية وجدت الصناعات المعدنية التي كانت قائمة على معدن الذهب والفضة، لذلك استعمل المعدنان على نطاق واسع في مصانع ضرب النقود، التي انتقلت الى الدولة العباسية وكانت موروثة من الأمويين، حينما أقدم الخليفة عبد الملك بن مروان على تعريب السكة عام (٧٤هـ) وجعلها طرازا عربيا خالصا[٣٩]، وانتشرت كذلك صناعة الرخام الذي كان يستخرج من أطراف الرملة والذي كان تزين به واجهات الكثير من القصور والبيوت بعد نقشه وتزيينه[٤٠].

أما صناعة الأسلحة فقد كان لها شأن كبير وذلك لما عرف من حب العرب للفروسية والقتال، والإشارات في ذلك واضحة في الشعر العربي لمختلف العصور، فقد كان المقاتل العربي يتغنى بالسيوف والرماح والنبال وغيرها من الأسلحة، وتطورت خلال العصر العباسي حيث قامت صناعتها في كلّ من الكوفة والبصرة واشتهرت بلاد الشام بصناعة السيوف الشرقية[٤١]. كما تطورت الصناعات الحربية ومنها صناعة السفن والتي اهتم العباسيون بها منذ العصر الأول لدولتهم، وسعوا الى سيادة الدولة في حوض البحر الأبيض المتوسط[٤٢].

لقد انتشرت الصناعة في جميع أنحاء الدولة العربية الإسلامية شرقها وغربها بفضل ما أتاح لها الإسلام من دفع الناس لعمارة الأرض وخدمة المجتمع، ولذلك انتشرت صناعة المنسوجات إذ كان العرب يعتنون بشكل خاص بالملبس وكانت صناعة الملابس أرقى الصناعات. ولهذا انتشرت صناعة النسيج وبلغت درجة عالية من الرقي ولا سيما الأقمشة الصوفية منها حيث انتشرت صناعتها في مصر في كل من مدينتي تنيس ودمياط، والتي أصبحت مركزا لصناعة النسيج[٤٣].

وتشير المصادر الى أنّ الحياكة في مدينة السلام ازدهرت منذ القرن الثالث الهجري فكانت بغداد تصنع المنسوجات الحريرية الفاخرة والثياب الحريرية بألوان مختلفة والأقمشة القطنية والعمائم الرقيقة والمناديل بأنواعها[٤٤].

وكذلك انتشرت صناعة الحرير في كل أنحاء الدولة العربية الإسلامية، على الرغم من انها كانت تستورد من بلدان أخرى أيضاً كبلاد الروم التي تنتج أنواع عديدة من الملابس المشهورة والمعروفة بجودتها في القرن الرابع الهجري أثناء فترات السلم حيث تنشط التجارة بين الدولتين[٤٥].

وكانت صناعة البسط والفرش الصوفية منتشرة أيضاً في الدولة العربية الاسلامية، فكان الناس يميزون بين الصناعة الأرمنية والفارسية ومنطقة بخارى، وكانت البسط والفرش الارمنية مرغوبة أكثر من غيرها بسبب جودة الصوف الأرمني الذي يأتي بعد صوف مصر[٤٦].

ونتيجة لجودتها فقد كانت تصدر الى عاصمة الخلافة العباسية بغداد بسبب الترف الذي كان يعمّ العاصمة، وقد أوضح الثعالبي علاقة أسواق بغداد التجارية بأرمينية حين يذكر انه كان يرد الى بغداد من بسط أرمينية المحفورة ثلاثون بساطاً، ومن الرقم خمسمائة، ومن البزاة ثلاثون بازاً، فضلاً عن الوسائد والمقاعد والفرش والستائر والثياب الصوفية[٤٧].

واشتهرت آمد بصناعة الثياب الموشية والمناديل والستر الرقاق والطيالسة من الصوف، أما بلخ ونواحيها فقد اشتهرت بصناعة الصابون والكبريت والرصاص والجلود فضلاً عن الصناعات الغذائية وذلك لما عرف عنها من كثرة البساتين والأنهار[٤٨].

أما صناعة الورق التي ظهرت في العصر العباسي الأول في عهد الخليفة هارون الرشيد فنقلت صناعته من الصين وناله على أيدي المسلمين الكثير من التطوير، فقد أنشأ مصنع للورق وأمر يحيى البرمكي بضرورة إقامة مصنع للكاغد، وأمر جعفر البرمكي بإحلال الورق المصنّع في بغداد محل الرق في دواوين الدولة[٤٩].

وفي القرنين الثالث والرابع للهجرة أحدثت صناعة الورق تغييراً كبيراً في المجتمع الإسلامي بسبب انكباب الناس على القراءة وطلب العلوم والمعارف خاصة طلاب العلم في المدارس والكتاتيب، وكان بسعر ميسور وساهم بشكل كبير في تطور الثقافة والفكر العربي الإسلامي، فقد كان الاعتماد بشكل رئيسي على بردي مصر في صناعته في بداية الأمر، ثم "ظهرت كواغد سمرقند فعطلت قراطيس مصر[٥٠] لأنها أحسن وأنعم وأدق، ونظراً لشهرتها فقد صارت متجراً مربحاً لأهل سمرقند فعمّ خبرها في الآفاق[٥١]، ويعتقد المستشرق (متز) أنّ القرنين الثالث والرابع الهجريين قد أحدثا انقلاباً عظيماً في صناعة الورق، فحررا مادة الكتابة من احتكار مصر لها واستئثارها به وصيراه رخيصاً جداً[٥٢].

ونتيجة لكثرة وتعدد وتنوع الصناعات في كل أرجاء دولة الخلافة فقد نشأت أسواق كثيرة متخصصة وغير متخصصة ساهمت في إنعاش اقتصاد الدولة العباسية، وهذه الأسواق لم تكن لتترك هكذا بدون رقابة، بل كانت تدار تحت إشراف المحتسب، ومهمته مراقبة

معاملات البيع والشراء والأوزان والمكاييل، ومنع التطفيف فيها أو الغش في الصناعة، كما انه كان يراقب الأخلاق العامة، ويبدو ان هذه الناحية شملت المحافظة على الهدوء والرقابة على الحركة ومنع حوادث الاضطراب(٥٣).

المبحث الثالث
النشاط التجاري وأثره في التكامل الاقتصادي

مارس العرب التجارة منذ عهد سحيق(٥٤) وقد أوضح الثعالبي ذلك حين ذكر أنّ قريشا كانت في أول أمرها لا تتاجر إلاّ مع من ورد على مكة في المواسم وبذي المجاز وسوق عكاظ خلال الأشهر الحرم، اعتزازا بدينها وألفة لبيتها(٥٥).

غير ان هذه الحالة قد تغيرت بمرور الزمن، فقد أخذ تجار قريش يقومون برحلات تجارية منتظمة، فكان هاشم بن عبد مناف قد خرج الى الشام ووفد الى الملوك، وأبعد في السفر، ومر بالأعداء وأخذ منهم الإيلاف الذي ذكره الله تعالى في القران الكريم عندما قال: **چٱٻٻٻٻپپچ**(٥٦). فكانت رحلة في الشتاء الى اليمن والحبشة، ورحلة في الصيف نحو بلاد الشام، واشتهرت أسرة عبد مناف بالتجارة مع الأقطار البعيدة، فعرفوا (أصحاب الإيلاف) وصاروا أسرة غنية اختصت بالتجارة والأسفار(٥٧).

ولم يقتصر النشاط التجاري للعرب قديماً على فئة معينة، فقد مورست وشملت أشخاص آخرين، فكان عمل رسول الله ﷺ في التجارة مع السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، وكذلك كان الكثير من الصحابة تجاراً مثل أبي بكر الصديق وعبد الرحمن بن عوف(٥٨). وكذلك كان الكثير من سادة مكة تجاراً، وعلى رأسهم أبي سفيان قائد قريش وزعيمها وكبير تجارها الذي قال: }كنا قوماً تجاراً وكانت الحرب بيننا وبين رسول الله ﷺ قد حضرتنا حتى تهتكت أموالنا{(٥٩).

ولقد تطورت التجارة خلال العصر العباسي وبلغت شوطاً عالياً من التبادل التجاري بين أقاليم الخلافة العباسية والدول المجاورة لها، ونشط التجار في نقل البضائع بسبب حرية التبادل التجاري والأمان الذي كانت توفره الخلافة على طرق القوافل التجارية بوضعها نقاط حراسات في مناطق معينة من أقاليم الدولة(٦٠).

وكانت هناك عدة عوامل ساعدت على نشاط الحركة التجارية، منها وجود شبكة من الطرق البرية والبحرية والنهرية تربط مركز الخلافة بالمدن التجارية المهمة التي كان يسلكها التجار أثناء جلبهم وتصديرهم للسلع، علماً ان السفن النهرية لم يقتصر عملها على نقل البضائع فحسب بل ان السكان كانوا يفضلون السفر فيها(٦١).

وكان مما ساعد على تميز حركة التجارة في دولة الخلافة الإسلامية هو مركز العراق الجغرافي ووقوعه على طرق المواصلات البرية والبحرية وتشجيع العباسيين للتجارة، لتصبح بغداد المركز التجاري العظيم للدولة العباسية فوجود نهري دجلة والفرات يصلان بينها وبين الطرق البحرية في الجنوب وبينها وبين الموصل وأرمينية والشام في الشمال والغرب، في حين أن طريق بغداد خراسان الكبير جعلها مركزاً للتجارة مع أواسط آسيا(٦٢).

ويشبّه الأستاذ محمد كرد علي بغداد بحي تجاري يعرض فيه التجار أمتعتهم وسلعهم ويتفقون على الأسعار(٦٣).

ونظراً لكمية السلع الواردة الى أسواق بغداد من كثرة السفن التجارية الصاعدة والمنحدرة ما بين بغداد والبصرة أو الصاعدة الى الموصل فقد تطلب الأمر قيام مرفأ خاص في محلة باب الشعير ترسو فيه السفن المحملة بالبضائع الواردة من الموصل أو البصرة(٦٤).

والأمر لا يقتصر على عاصمة الخلافة بل تعداها الى مدن مهمة أخرى مثل عكا في فلسطين، فقد وصف ابن جبير عكا بأنها محط الجواري المنشآت في البحر كالأعلام ومرفأ كل سفينة، ويشبهها في عظمتها بالقسطنطينية، ولا ريب انه يبالغ في ذلك كثيراً، وعكا هي مجتمع السفن وملتقى تجار المسلمين والنصارى من جميع الآفاق، سككها وشوارعها تغصّ بالزحام وتضيق فيها مواطئ الأقدام(٦٥).

وكذلك التطور الاجتماعي أدى الى ازدياد الاهتمام بالتجارة وتوسع فاعليتها، فقد أحدث القرن الثالث الهجري تغييراً كبيراً في نظرة المجتمع الى التجارة والحرف الأخرى، وصرنا نلمس بوضوح شغف الناس بحب المال لأجل تحقيق السعة في العيش والمنزلة اللائقة بينهم الذين نظروا الى الثراء نظرة عالية(٦٦).

لقد امتد النشاط التجاري في العصر العباسي الثالث الى مناطق بعيدة ليشمل المغرب الأقصى والأندلس وشرق إفريقيا من جهة، والى حوض البلطيق من جهة أخرى والى الهند والصين من جهة ثالثة(٦٧).

فقد قامت علاقات تجارية مهمة بين العراق والهند والشرق الأقصى منذ أقدم الأزمنة وهي تعتمد بالدرجة الأولى على المواد الكمالية الغالية الثمن كالبهارات والعاج والأخشاب والمنسوجات الحريرية، وان قيام الدولة العباسية أدى الى تحويل طرق التجارة تدريجياً من البحر الأحمر لتسلك طريق الخليج العربي من البصرة وبغداد، وكان هذا التغير في صالح تجار بغداد الذين وسّعوا نشاطهم التجاري في مجالات كثيرة تبعاً لذلك(٦٨).

وكانت للدولة العباسية صلات تجارية قوية مع الصين، فالتجارة بين العرب والصين أصبحت منظمة منذ النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة ثم ازدهرت خلال القرن الثالث(٦٩) وأصبحت الدولة العباسية تستورد منها السلع بكميات كبيرة، ويجد التجار المسلمين وسائل الراحة عند وصولهم الى تلك الديار البعيدة فينزلون في فنادق خاصة أو ينزلوا عند التجار المسلمين المقيمين هناك ويقدمون شتى المساعدات للتجار الوافدين(٧٠).

ومن الأقاليم البعيدة الأخرى التي كانت لها علاقات تجارية مع بغداد هو إقليم السند فيذكر المقدسي أن إقليم السند فيه تجارات كثيرة وبضائع وخيرات وافرة وأسعار رخيصة ومتاجر وصناعات فقد كانت تصدر الى دولة الخلافة العاج والعقاقير الطبية النافعة والماس والخيزران والكافور والزنجبيل وبخور العود الهندي(٧١).

ونظراً لاتساع نشاط الحياة الاقتصادية في عموم الخلافة العباسية وتشجيع ومتابعة الخلفاء في ذلك بعد أن تطورت وازدهرت الحضارة، والتبادل التجاري الكبير وكثرة الأموال وانتقالها لأغراض تجارية، ظهرت صيغة جديدة لتسهيل عملية نقل وتبادل النقود هي النشاط المصرفي ودور الصرافين أو بيوت الجهابذة الذين خدموا التجارة، وظهرت صيغة جديدة في النشاط المصرفي في الدولة العربية الإسلامية، وهي التعامل بالصكوك والسفاتج أو الحوالات الى جانب التعامل بالعملة النقدية من الدنانير الذهبية والدراهم الفضية(٧٢).

وقد بدأ التجار باستخدام السفاتج لسهولة حملها والأمان على الأموال في ذلك، فقد خصصت الدولة الإسلامية أسواق معينة للصرافين في المدن المهمة مثل البصرة والكوفة وسامراء يمارسون فيها أعمالهم(٧٣).

ونشط عمل الصرافين بما كانوا يقومون به من صرف الصكوك التي تمنح من قبل الخلفاء والأمراء الى التجار أو الشعراء والعلماء(٧٤)، وقد استخدم الصك كوسيلة لدفع الأموال، وهو أمر خطي يدفع بواسطة مقدار من النقود الى الشخص المسمى فيه(٧٥).

وخلال العصر العباسي كثرت الإشارة الى استعمال الصكوك كوسائل لدفع المال، وتعدى استعمالها مؤسسات الدولة، إذ أخذ يتعامل بها من أفراد الشعب أيضاً إلاّ أن الصكوك الحكومية كانت تختم عادة بخاتم الخلافة الخاص(٧٦).

وكذلك ومما ييسّر نشاط التجارة ويوسّعها هو نشاط المؤسسات المالية والصيرفية، فقد كان للصرافين دور مهم في تسليف التجار، وفي تنشيط معاملاتهم، إلاّ إننا نجد التعامل التجاري في بعض الموانئ كالبصرة يتم عن طريق الصرافين الذين يسددون الحسابات بين التجار من دون اضطرارهم الى الدفع المباشر في كل صفقة تجارية(٧٧).

وكذلك فقد أسهم الصرافون بتحويل السفاتج الى نقود مقابل خصم مبلغ معين منها(٧٨)، والسفتجة تعني أن تعطي مالاً لرجل له مال في بلد تريد أن تسافر إليه فيأخذ منه خطّاً أي سفتجة، لمن عنده المال في ذلك البلد ليعطيه نفس المال الذي دفعه قبل سفره(٧٩).

وقد استخدمت الصكوك على نطاق واسع بين أقاليم الدولة العربية الإسلامية شرقها وغربها، وأصبحت الصكوك والسفاتج أدوات تعامل مهمة في التجارة والبيع والشراء وتطور استعمالها في الدولة العباسية بشكل واسع وخصوصا بعد القرن الثالث للهجرة وحلّت محل التعامل النقدي في كثير من الأحيان(٨٠).

ولا بد من الإشارة الى أن تجار بغداد كانوا مضطرين الى التعامل مع الصرافين، نظراً الى أن العالم الإسلامي في الشرق كان يتعامل بالدراهم على الأغلب، في حين كان العالم الإسلامي في الغرب يتعامل بالدنانير الذهبية، وفي هذه الحالة أصبح لا بدّ من وجود الصرافين لتغيير العملة التي كانت قيمتها عرضة للصعود والهبوط تبعاً لتقلبات قيمة المعدن المكونة منه(٨١).

ونتيجة للدور الكبير الذي كان يقوم به الصرافون لخدمتهم الحركة التجارية التي كانت قد بلغت حركة الصيرفة فيها غاية ازدهارها في الربع الأول من القرن الرابع الهجري، فقد أصبحت لهم منزلة عظيمة في المجتمع العباسي، فكانوا يخاطبون بألقاب ترفع من شأنهم(٨٢).

ويرى الدكتور الدوري (رحمه الله) ان النصف الأول من القرن الرابع الهجري كان زمن عزّ التجارة مع شرق أوربا، وان المواد المصدرة من الدولة العباسية الى تلك البلاد كانت كثيرة، وان التجارة العراقية كانت جزءً هاما منها(٨٣).

ومن ذلك يلاحظ كذلك انه وخلال القرن الثالث وبداية القرن الرابع للهجرة، العاشر الميلادي، أصبح التعامل في الأسواق ودفع الديون ليس بالدينار أو الدرهم فقط، وإنما استعمل الصك والسفتجة والحوالة، من بلد الى آخر بدون تعرضها للمخاطر في الطرق البعيدة مما سهلت ونشطت الحالة الاقتصادية وازدهارها داخل الدولة العباسية والذي انعكس بصورة ايجابية على رفاهية الناس في المجتمع العباسي ودفعهم الى اتجاهات أخرى والتي ساهمت في تطوير الحالة العلمية والفكرية في الدولة العباسية والتي نتج عنها ظهور خيرة العلماء والأدباء والمفكرين.

الخاتمة والاستنتاجات

تميزت الخلافة العباسية في منتصف القرن الثالث والرابع الهجري بالرقي والتقدم في المجالات الاقتصادية، وذلك لما كان تشهده من نهضة اقتصادية شملت كل مناحي الحياة الزراعية والصناعية والتجارية، وذلك لأن الدولة وعلى الرغم من المشاكل التي كانت تعاني منها من تسلط للعنصر الأجنبي إلا إنها استطاعت أن تنهض بالمجتمع الإسلامي وذلك يعود الى اهتمامها بالجانب الاقتصادي لما له من أهمية كبيرة في المجتمع.

وأول ما يلاحظ هو نمو المدن وتطور الحياة فيها، واتخاذ المدن الإسلامية صفاتها الرئيسية، وكانت بغداد حاضرة المدن الإسلامية وأفضل مثل في تلك النهضة، فقد اتسعت المدينة، وتمثل فيها امتزاج الناس من مختلف الألوان والأصول، وازداد نشاط الحرف والمهن والصناعات، واتسعت أسواقها ومحلاتها، فضلاً عن اختصاص كل حرفة بسوقها، وظهرت لديهم تنظيمات كثيرة تشي بتنوع الأنشطة الاقتصادية في المجتمع العربي الإسلامي.

ونتيجة لازدهار المدن وتطورها في الدولة العربية الإسلامية فقد أدى ذلك الى قيام حواضر كثيرة مثل دمشق والكوفة والبصرة ونيسابور وبخارى وسمرقند، بسبب تنوع الحياة الاقتصادية وتشعّبها في هذا العصر والذي انعكس على تطور الحياة في المجتمع الإسلامي.

لقد أولت الدولة العربية الإسلامية عنايتها بالزراعة لما تميزت به بكثرة المحاصيل الزراعية المتنوعة لسعة مساحتها وتنوع مناخها وخصوبة تربتها، والأهم من كل ذلك كثرة الأنهار المنتشرة على مساحات واسعة من الدولة في مختلف الأقاليم.

وكانت هناك جملة عوامل قد جعلت من الدولة العربية الإسلامية مركزاً مهما للزراعة ومنها زيادة الاهتمام زمن العباسيين بامتلاك الأرض باعتبارها نوعا مستقراً من

الملكية ومصدر دخل ثابت، فبرزت ظاهرة الملكيات الكبيرة من اقطاعات وضياع نتيجة توفر المال والنفوذ.

عدّ القرن الرابع الهجري قمة التطور الاقتصادي، فقد شهد أوج نشاط المؤسسات التجارية والصيرفية حتى رأى البعض في التاجر رمز التمدن في ذلك العصر، وشهد ازدهار وتقدم فنون الصناعة رغم أن الخلافة قد غزيت في عقر دارها بعد أن تعرض كيانها للتجزئة بالحركات الانفصالية التي قامت في المشرق.

وأدّى تميز التجارة في القرن الرابع الهجري انه أصبح ترابط بين كل أقاليم الدولة العباسية والبلدان القريبة والبعيدة على حد سواء ولذلك تنوعت واختلفت واشتهرت بمختلف انواع التجارة، ولم تقتصر على المواد الغذائية والمنسوجات انما تعدتها الى التحف والأحجار الكريمة مثل تجارة الماس والؤلؤ ونفائس ثمينة منها فيروز نيسابور، وياقوت سرنديب، واللؤلؤ عمان، وزبرجد مصر، وعقيق اليمن. وقد انتقلت تجارة هذه الأحجار النفيسة بين مناطق الدولة الإسلامية وكانت تجارتها مزدهرة ورائجة.

لقد كانت التجارة حرة، وكانت الدولة تعامل التجار من البلاد الخارجية معاملة حكوماتها للتجار المسلمين من حيث الضريبة ولا يخفى أن الخليفة وكبار موظفيه زادوا الطلب على البضائع الأجنبية حتى ان ابن خلدون يسمي الدولة "السوق الأعظم للتجارة" وساعد نفوذ الدولة السياسي على تيسير التجارة مع البلاد الخارجية وعلى حماية التاجر من التجاوز، وكان جلّ ذلك يعود للتجار من ذوو النفوذ الاجتماعي الكبير والذين أصبح بعضهم يؤثر في رجال الحكم والدولة.

هوامش البحث

(١) سرور، محمد جمال الدين، الحضارة الإسلامية في الشرق، دار الفكر، القاهرة، ١٩٩٧م، ص٢١٤؛ احمد أمين، ظهر الإسلام، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٢م، ٢٨٣/١

(٢) ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت:٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، ط١٦، ١٩٨٥م، ١٨٢/٥؛ مسكويه، أحمد بن محمد (ت:٤٢١هـ)، تجارب الأمم، اعتنى به آمندوز، مكتبة التحدي، القاهرة، ١٩١٤م، ١٩٤/١.

(٣) الجميلي، رشيد عبد الله، تاريخ الدويلات العربية والإسلامية في المشرق، مطبعة جامعة بغداد، ١٩٨٠م، ص٨٥ ؛ القزاز، محمد صالح، الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الأخير، بغداد ، ١٩٧٩م، ص٣٦ .

(٤) الدوري، عبد العزيز، أوراق في التاريخ والحضارة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٩م، ص١٤٣.

(٥) الجهشياري، محمد بن عبدوس، (ت:٣٣١هـ)، الوزراء والكتاب، تحقيق: مصطفى السقا، ،مطبعة البابي الحلبي، ط١، القاهرة، ١٩٣٨م، ص١١٨.

(٦) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح، (ت: ٢٧٨هـ)، البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، ص٣٠٩.

(٧) ابن عساكر، علي بن الحسين بن هبة الله الدمشقي، (ت:٥٧١هـ)، تاريخ دمشق، تحقيق: صلاح الدين المنجد، طبعة المجمع العلمي، دمشق، ١٩٧٥هـ، ٣٩٥/٦.

(٨) المقدسي، محمد بن احمد البشاري، (ت:٣٧٥هـ)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق: دي غوية، طبعة ليدن، ١٩٠٦م، ٤١/١.

(٩) اليعقوبي، البلدان، ص٢٣٣.

(١٠) المقدسي، أحسن التقاسيم، ١١١/١.

(١١) المقدسي، أحسن التقاسيم، ١١١/١.

(١٢) ابن جبير، محمد بن احمد الكتاني الأندلسي، (ت:٥٨٠هـ)، رحلة ابن جبير، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٠٨م، ص٢٩٢.

(١٣) المصدر نفسه، ص٢٩٢.

(١٤) الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت:٦٢٦هـ)، معجم البلدان، دار الفكر، بيروت، ٥١٥/١.

(١٥) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٢٠٠/١.

(١٦) ابن بطوطة، محمد بن عبد الله اللواتي، (ت:٧٧٩هـ)، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار صادر، بيروت، ١٩٦٤م ص٥٥.

(١٧) ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي، (ت:٣٦٧هـ)، صورة الأرض، مكتبة الحياة، بيروت، بلا ت، ص١٥٧.

(١٨) ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله (ت:٣٠٠هـ)، المسالك والممالك، تحقيق: دي غوية، طبعة ليدن، ١٨٨٩م، ص٧٨.

(١٩) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٨٩.

(٢٠) ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا، (ت:٧٠٩هـ)،الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، مطبعة محمد علي، القاهرة، ١٩٦٢م، ص٢٩٩.

(٢١) الثعالبي، عبد الملك بن محمد، (ت:٤٢٩هـ)، لطائف المعارف، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ١٩٦٠م، ص١٢٩؛ متز، آدم، الحضارة العربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٤٠م، ص٣٠٧.

(٢٢) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت:٥٩٧هـ)، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، حيدر آباد الدكن، ١٣٥٩هـ، ٧١/٦.

(٢٣) الكبيسي، حمدان عبد المجيد، أسواق بغداد، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٩م، ص ١٨٤.

(٢٤) الجاحظ، عمرو بن بحر الليثي، (ت:٢٥٥هـ)، التبصر بالتجارة، نشره حسن حسني، دمشق، ١٩٣٢م، ص٢٥.

(٢٥) المسعودي، علي بن الحسين (ت:٣٤٦هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، مطبعة السعادة، القاهرة، ٣٠٢/٤ ؛ الثعالبي ، لطائف المعارف ، ص٩٥ ؛ متز، الحضارة العربية، ص٣٠٩.

(٢٦) اليعقوبي، البلدان، ص٢٥٠.

(٢٧) المصدر نفسه، ص٩٧.

(٢٨) الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت:٤٢٩هـ)، يتيمة الدهر، مكتبة الخانجي، القاهرة، بلات،٢/ ٦٢؛ لطائف المعارف، ص١١٩ ؛ متز، الحضارة العربية، ص٣٥٧.

(٢٩) الثعالبي، عبد الملك بن محمد، (ت:٤٢٩هـ)، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، المكتبة العصرية، بيروت، ٣٠٠٧م، ص٤٢٧.

(٣٠) الحفيظ ،عماد محمد، علم الفلك عند العرب، مطبعة بغداد ، ١٩٨٧م، ص٦.

(٣١) الثعالبي، ثمار القلوب، ص٤٢٧.

(٣٢) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٤٥.

(٣٣) الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت:٤٢٩هـ)، فقه اللغة وأسرار العربية، تحقيق: عمر الطباع، دار الأرقم، بيروت، ١٩٩٩م، ص٤١١؛ الحفيظ، علم الفلك عند العرب، ص١٥.

(٣٤) الدوري، مقدمة في التاريخ الاقتصادي، ص٥٩.

(٣٥) الدوري، مقدمة في التاريخ الاقتصادي، ص ٥٥.

(٣٦) المصدر نفسه، ص٥٩.

(٣٧) ابن جبير ، الرحلة، ٢٨/١.

(٣٨) القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت:٦٨٢هـ)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار الصياد، بيروت، ١٩٦١م، ص٩٥، المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١٨٤.

(٣٩) البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر البغدادي، (ت: ٢٧٩هـ)، فتوح البلدان، القاهرة، ١٩٠١م ص٤٧٣؛ الكبيسي، حمدان عبد المجيد، دراسات في التاريخ الاقتصادي العربي الإسلامي، مطبعة جامعة بغداد، ١٩٨٨م، ص٧٤.

(٤٠) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٩.

(٤١) المسعودي، مروج الذهب، ٣/ ١٣٩.

(٤٢) اليعقوبي، البلدان، ص٣٢٧.

(٤٣) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، (ت:٨٤٥هـ)، الخطط والآثار، مطبعة النيل، القاهرة، ١٣٢٤هـ، ١٧٧/١؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٣٣٢.

(٤٤) عبد المجيد، حمدان، أسواق بغداد، ص٢١٨.

(٤٥) الثعالبي، لطائف المعارف، ص١٣١؛ ابن الفقيه الهمذاني، أبو بكر احمد بن محمد (ت: ٧٣٢هـ)، مختصر كتاب البلدان، طبعة ليدن، ١٣٠٢ هـ، ص٢٧٠.

(٤٦) الثعالبي، لطائف المعارف، ص١١١.

(٤٧) الثعالبي، ثمار القلوب، ص٤٢٨؛ لطائف المعارف، ص١١٩؛ الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص٢٨٦.

(٤٨) الجاحظ، التبصر بالتجارة، ص٢٥؛ الجهشياري، الوزراء والكتاب، ٢٨٤.

(٤٩) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي، (ت:٨٠٨هـ)، العبر في ديوان المبتدأ والخبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٥٩م، ٣٥٢/١.

(٥٠) الثعالبي، لطائف المعارف، ص١١١.

(٥١) الثعالبي، ثمار القلوب، ص٤٣٢.

(٥٢) متز، الحضارة الإسلامية، ٢٦٨/٢.

(٥٣) الدوري، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، ص٥٦.

(٥٤) الجاحظ، عمرو بن بحر، (ت:٢٥٥هـ) البخلاء، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٨م، ص١٥٧؛ الكبيسي، حمدان عبد المجيد، أسواق العرب التجارية، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٥م.

(٥٥) الثعالبي، ثمار القلوب، ص٢٨٩؛ الكبيسي، أسواق العرب، ص٥.

(٥٦) سورة قريش، الآية١-٤.

(٥٧) الطبري، محمد بن جرير (ت:٣١٠هـ)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨م، ٢٥٢/٢.

(٥٨) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدينوري، (ت:٢٧٦هـ)، المعارف، المطبعة الإسلامية، القاهرة، ١٩٣٤م، ص٢٤٩.

(٥٩) الواقدي، محمد بن عمر بن واقد، (ت:٢٠٧هـ)، المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، مطبعة جامعة اوكسفورد، ١٩٦٦م، ١٩٧/١م.

(٦٠) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٥٣؛ متز، الحضارة الإسلامية، ص٤١١.

(٦١) الكبيسي، أسواق بغداد، ص ١٨١.

(٦٢) المصدر نفسه، ص١٨٠.

(٦٣) كرد علي، محمد، تاريخ الحضارة في القرون الوسطى، مطبعة التقدم، مصر، بلا ت، ص٤٦.

(٦٤) اليعقوبي، البلدان، ص٢٥٠؛ الكبيسي، أسواق بغداد، ص١٨٣.

(٦٥) ابن جبير، الرحلة، ص٢٨٥؛ خليل، عماد الدين، في التاريخ الإسلامي مواقف ودراسات، مطبعة الزهراء، الموصل، ١٩٨٥م، ص٩٣.

(٦٦) ابن عبد ربة الأندلسي، شهاب الدين احمد، (ت:٣٢٨هـ)، العقد الفريد، شرحه وضبطه: أحمد أمين، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٣م، ٣١٣/٢، الكبيسي، أسواق بغداد، ص٣٤٤.

(٦٧) الدوري، مقدمة في التاريخ الاقتصادي، ص٥٦

(٦٨) العلي، التنظيمات الاقتصادية، ص٢٣٠.

(٦٩) الكبيسي، أسواق بغداد، ص٢٠٩.

(٧٠) ابن بطوطة، الرحلة، ١٥٦/٢.

(٧١) أحسن التقاسيم، ص٤٧٤.

(٧٢) الدوري، مقدمة في التاريخ الاقتصادي، ص٥٨.

(٧٣) ابن الجوزي، أبي الفرج عبد الرحمن بن علي (ت:٥٩٧هـ)، مناقب بغداد، تعليق: محمد بهجت الأثري، بغداد، ١٣٤٢هـ، ص١٤؛ الكبيسي، حمدان عبد المجيد، النشاط المصرفي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٠م، ص١٢.

(٧٤) الحموي، ياقوت بن عبد الله، (ت:٦٢٦هـ)، معجم الأدباء ، دار الفكر، بيروت، ٢٧٢/٢.

(٧٥) ابن منظور، محمد بن مكرم الإفريقي، (ت:٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط١، بلا ت، ٩١/١.

(٧٦) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت:٨٠٨هـ)، مقدمة ابن خلدون، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، بلات، ص٨١٢.

(٧٧) الدوري، مقدمة في التاريخ الاقتصادي، ص٥٧.

(٧٨) الثعالبي، الإعجاز والإيجاز، ص١٣٥؛ ابن منظور، لسان العرب، ٢/ ٢٩٨.

(٧٩) ابن منظور، لسان العرب، ٢٩٨/٢ ؛ الكبيسي، النشاط المصرفي، ص٩٥ .

(٨٠) الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، (ت:١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، مصر، ١٣٠٦هـ، ٢/ ١٥٩.

(٨١) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٧٣؛ الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص٢٨٨؛ الكبيسي، أسواق بغداد، ص٢٧٣.

(٨٢) الكبيسي، أسواق بغداد، ص٢٧٣.

(٨٣) الدوري، عبد العزيز، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٤٨م، ص١٥٣.

المصادر

القرآن الكريم

- ابن بطوطة، محمد بن عبد الله اللواتي، (ت:٧٧٩هـ).

١- تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار صادر، بيروت، ١٩٦٤م.

- البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر البغدادي، (ت: ٢٧٩هـ).

٢- فتوح البلدان، القاهرة، ١٩٠١م.

- الثعالبي، عبد الملك بن محمد، (ت:٤٢٩هـ)، لطائف المعارف.

٣- لطائف المعارف، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ١٩٦٠م.

٤- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٧م.
٥- يتيمة الدهر، مكتبة الخانجي، القاهرة، بلات.
٦- فقه اللغة وأسرار العربية، تحقيق: عمر الطباع، دار الأرقم، بيروت، ١٩٩٩م.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الليثي، (ت:٢٥٥هـ).
٧- البخلاء، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٨م.
٨- التبصّر بالتجارة، نشره حسن حسني، دمشق، ١٩٣٢م.
- الجهشياري، محمد بن عبدوس، (ت:٣٣١هـ).
٩- الوزراء والكتاب، تحقيق: مصطفى السقا، ،مطبعة البابي الحلبي، ط١، القاهرة، ١٩٣٨م.
- ابن جبير، محمد بن احمد الكتاني الأندلسي، (ت:٥٨٠هـ).
١٠- رحلة ابن جبير، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٠٨م.
- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت:٥٩٧هـ).
١١- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، حيدر آباد الدكن، ١٣٥٩هـ.
١٢- مناقب بغداد، تعليق: محمد بهجت الأثري، بغداد، ١٣٤٢هـ.
- الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله (ت:٦٢٦هـ).
١٣- معجم البلدان، دار الفكر، بيروت.
١٤- معجم الأدباء ، دار الفكر، بيروت، بلات.
- ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي، (ت:٣٦٧هـ).
١٥- صورة الأرض، مكتبة دار الحياة، بيروت، بلات.
- ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله (ت:٣٠٠هـ).
١٦- المسالك والممالك، تحقيق: دي غوية، طبعة ليدن، ١٨٨٩م.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي، (ت:٨٠٨هـ).
١٧- العبر في ديوان المبتدأ والخبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٩٩م.
١٨- مقدمة ابن خلدون، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، بلات.
- الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، (ت:١٢٠٥هـ).
١٩- تاج العروس من جواهر القاموس، مصر، ١٣٠٦هـ.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت:٣١٠هـ).
٢٠- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨م.

- ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا، (ت:٧٠٩هـ).
٢١- الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، مطبعة محمد علي، القاهرة، ١٩٦٢م.
- ابن عساكر، علي بن الحسين بن هبة الله الدمشقي، (ت:٥٧١هـ).
٢٢- تاريخ دمشق، تحقيق: صلاح الدين المنجد، طبعة المجمع العلمي، دمشق، ١٩٧٥هـ.
- ابن عبد ربة الأندلسي، شهاب الدين احمد، (ت:٣٢٨هـ).
٢٣- العقد الفريد، شرحه وضبطه: أحمد أمين، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٣م.
- ابن الفقيه الهمذاني، أبو بكر أحمد بن محمد، (ت:٧٣٢هـ).
٢٤- مختصر كتاب البلدان، طبعة ليدن، ١٣٠٢هـ .
- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت:٦٨٢هـ).
٢٥- آثار البلاد وأخبار العباد، دار الصياد، بيروت، ١٩٦١م.
- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، (ت:٨٤٥هـ).
٢٦- الخطط والآثار، مطبعة النيل، القاهرة، ١٣٢٤هـ.
- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدينوري،(ت:٢٧٦هـ).
٢٧- المعارف، المطبعة الإسلامية، القاهرة، ١٩٣٤م.
- ابن كثير، أبو الفدا إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت:٧٧٤هـ).
٢٨- البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، ط١٦، ١٩٨٩م.
- مسكويه، احمد بن محمد بن يعقوب، (ت:٤٢١هـ).
٢٩- تجارب الأمم وتعاقب الهمم، نشرة آمندوز، مطبعة التحدي، القاهرة، ١٩١٤م.
- المقدسي، محمد بن احمد البشاري، (ت:٣٧٥هـ).
٣٠- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق: دي غوية، طبعة ليدن، ١٩٠٦م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم الإفريقي، (ت:٧١١هـ).
٣١- لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط١، بلا ت.
- الواقدي، محمد بن عمر بن واقد ،(ت:٢٠٧هـ)،
٣٢- المغازي، تحقيق:مارسدن جونس، مطبعة جامعة اوكسفورد، ١٩٦٦م.
- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح (ت:٢٧٨هـ).
٣٣- البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت.

المراجع

- أحمد أمين

١- ظهر الإسلام، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٢م.
- الجميلي، رشيد عبد الله
٢- تاريخ الدويلات العربية والإسلامية في المشرق والمغرب، مطبعة جامعة بغداد، ١٩٨٠م.
- الحفيظ، عماد محمد
٣- علم الفلك عند العرب، مطبعة بغداد، ١٩٨٧م.
- خليل، عماد الدين
٤- في التاريخ الإسلامي مواقف ودراسات، مطبعة الزهراء، الموصل، ١٩٨٥م.
- الدوري، عبد العزيز
٥- أوراق في التاريخ والحضارة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٩م.
٦- تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٤٨م.
٧- مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٧م.
- سرور، محمد جمال الدين
٨- الحضارة الإسلامية في الشرق، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٧م.
- القزاز، محمد صالح
٩- الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الأخير، بغداد، ١٩٧٩م.
- الكبيسي، حمدان عبد المجيد
١٠- دراسات في التاريخ الاقتصادي العربي الإسلامي، مطبعة جامعة بغداد، بغداد، ١٩٨٨م.
١١- النشاط المصرفي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٠م.
١٢- أسواق بغداد التجارية، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٩م.
١٣- أسواق العرب التجارية، الدار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٥م.
- كرد علي، محمد
١٤- تاريخ الحضارة في القرون الوسطى، مطبعة التقدم، مصر، بلا ت.
- متز، آدم
١٥- الحضارة العربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٤٠م.